المجتمع المدني في منطقة الخليج العربي

دراسة حالة الكويت

الدكتور

لقرع بن علي

أستاذ باحث في العلوم السياسية

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر)

مركز الكتاب الأكاديمي

مقـــدمة

يعتبر مفهوم المجتمع المدني من أكثر المفاهيم التي لقيت رواجا كبيرا سواء في الدراسات السياسية المعاصرة، وهو يعد كذلك من أكثر المفاهيم استخداما في الخطابات السياسية والتداول الإعلامي في العديد من دول العالم خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، واستمر هذا الاستخدام الواسع لمفهوم المجتمع المدني خلال العقدين الأولين للقرن الواحد والعشرين. وقد ارتبط هذا الرواج والانتشار الكبير لمفهوم المجتمع المدني بظاهرة التحولات الديمقراطية التي شهدتها دول عديدة في مختلف أنحاء العالم، لاسيما في دول أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية. ومنذ أواخر الثمانينيات امتد رواج هذا المفهوم إلى الدول العربية، حيث أصبح مفهوم المجتمع المدني من أكثر المصطلحات استعمالا في الخطابات السياسية العربية، وبصفة خاصة في الدول التي عرفت إجراء إصلاحات سياسية على غرار الجزائر، ومصر، ولبنان، والأردن، والكويت...وغيرها.

وهكذا، فإن عودة إحياء مفهوم المجتمع المدني من جديد في الدراسات السياسية بعد فترة طويلة من تغييبه، جاءت خلال ظروف معينة تميزت بانتشار موجة من التحولات الديمقراطية، وانهيار الأنظمة الاشتراكية، وسقوط الديكتاتوريات العسكرية في جنوب وشرق أوربا، وأمريكا اللاتينية، وآسيا، وإفريقيا، ثم بداية ما يعرف بالنظام العالمي الجديد إلى جانب انتشار ظاهرة العولمة. فمنذ نهاية الحرب الباردة تم إعادة الاعتبار لمفاهيم المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، والإصلاح السياسي، والتنمية، وجعلها بمثابة الحل الوحيد لمختلف المشاكل والأزمات التي تمر بها النظم السياسية في الدول المتخلفة.

ويحكم أن منطقة مجلس التعاون الخليجي تنتمي إلى العالم العربي، وفي نفس الوقت تتميز بخصوصية سياسية واجتماعية وثقافية تميزها عن باقي المجتمعات العربية،

فقد بدا عليها التأثر الحذر بالتحولات التي تشهدها المنطقة العربية منذ نهاية الحرب الباردة ولاسيما منذ الثورات العربية. من هذا المنطلق، يأتي هذا المؤلف ليسلط الضوء على موضوع المجتمع المدني في الكويت باعتبارها بلدا خليجيا يجمع بين الخصوصية الخليجية وفي نفس الوقت يقدم تجربة ديمقراطية تتشابه مع الكثير من البلدان العربية غير الخليجية، وفي بعض الأحيان تبدو التجربة الكويتية أحسن بكثير من الدول العربية.

إن اختيار دولة الكويت كدراسة حالة لم يكن عفويا، بل جاء لاعتبارات عديدة توحي أن هذا البلد يشهد منذ استقلاله مسارا سياسيا سلميا دون اللجوء إلى العنف، كما أن الكويت تتوفر على عدد مهم من المنظمات غير الحكومية والجمعيات الأهلية والمدنية التي تشكل في مجموعها المجتمع المدني، كالجماعات السياسية، والنقابات، والجمعيات...الخ. والأهم من ذلك أن الكويت تعيش حراكا سياسيا متناميا منذ عدة سنوات يوحي بوجود حركية بين مكونات المجتمع والدولة، وهذا الحراك الذي تقوده القوى السياسية يحظى بالسند الشعبي والمجتمعي من فئات مختلفة.

من جهة أخرى، تنبع أهمية المؤلف من كونه يعالج أحد المواضيع الجديدة على الفكر السياسي العربي والإسلامي عموما، كما أنه جديد على واقع الأنظمة السياسية العربية، فمفهوم المجتمع المدني ما زال يشوبه الغموض والاضطراب المفاهيمي في الفكر العربي. وهذا راجع في أحد أسبابه إلى أن الكتابات العربية حول هذا الموضوع ليست متجذرة في التاريخ بل تزامنت مع موجة التحولات الديمقراطية، مما يتطلب الإكثار من الدراسات الأكاديمية والعلمية حول موضوع المجتمع المدني.

تأسيسا على ذلك، فإننا نهدف من خلال هذا الكتاب إلى محاولة التأصيل المفاهيمي لمفهوم المجتمع المدني وتتبع مسار تطوره، وكذلك محاولة تأصيله في الفكر السياسي العربي والإسلامي، وتحديد علاقته بمفاهيم أخرى مماثلة كمفهوم المجتمع

الأهلي. ومن خلال دراستنا للحالة الكويتية، يمكن التعرّف على واقع المجتمع المدني في منطقة مجلس التعاون الخليجي، وتحديد خصائصه، إضافة إلى طبيعة التفاعلات بينه وبين الدولة، ومعرفة حدود الدور الذي يمكن أن يؤديه المجتمع المدني في الحياة العملية السياسية.

يتطلب هذا الموضوع، معرفة التطور التاريخي لظاهرة الدولة والمجتمع المدني في الكويت، فالواقع الموجود حاليا هو امتداد لمسار تاريخي متراكم، مما يفرض علينا الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يدرس الموضوع في سياقه التاريخي ومحاولة تفسير واقع المجتمع المدني وعلاقته بالدولة وأدواره، اعتمادا على تتبع مسار تكوين الدولة في الكويت، والسياق التاريخي الذي تشكلت فيه منظمات المجتمع المدني. كما يتطلب هذا الموضوع، تحليل مكونات المجتمع المدني الكويتي وأطره القانونية، وتحليل أدواره وعلاقته بالدولة بالواقع الراهن. وهذا الأمر يفرض علينا الاستعانة بمنهج دراسة الحالة. وبالتالي، فإن طبيعة هذا الموضوع تبدو مركبة ومعقدة، تفرض استخدام منهجية مركبة من منهجين: أحدهما تاريخي، والآخر دراسة الحالة. وكذلك تتطلب الاستعانة بمداخل نظرية أخرى تساعد على التحليل مثل نظرية العصبية، ونظرية الدولة الريعية.

يتضمن هذا الكتاب أربعة فصول: فالفصل الأول يتناول مختلف المقاربات المفاهيمية والنظرية لمفهوم المجتمع المدني، حيث يركز على دراسة التطور التاريخي لهذا المفهوم في الفكر السياسي الغربي وفي الفكر السياسي العربي، وفي خضم صعوبة إيجاد تعريف موحد لمفهوم المجتمع المدني نحاول تحديد مجموعة من الخصائص التي تميز المجتمع المدني كمفهوم وكظاهرة في الواقع. ثم بعد ذلك، يتم تناول مختلف المداخل النظرية الملائمة لدراسة المجتمع والدولة في بلدان منطقة مجلس التعاون الخليجي، والتي يمكن ذكرها في القبلية السياسية ونظرية العصبية، والزبائنية السياسية إضافة إلى اقتراب

علاقة الدولة – المجتمع. وباعتبار أن دول هذه المنطقة هي دول ريعية فقد ارتأينا أن نركز اهتمامنا على نظرية الدولة الريعية كإطار نظري ملائم لدراسة الدولة الخليجية.

يعالج الفصل الثاني من هذا المؤلف مستويات تحليل بيئة المجتمع المدني في الكويت، حيث يتم التركيز على ثلاثة مستويات: المستوى الأول يتعلق بالبعد التاريخي لتشكيل الدولة والمجتمع المدني في الكويت. ويتعلق المستوى الثاني بالتركيبة البنيوية للمجتمع المدني في الكويت في محاولة لتحديد مكونات المجتمع المدني في هذا البلد وهي تتمثل في: الجماعات السياسية، وجمعيات النفع العام، والنقابات العمالية والمهنية، ويضاف لها الديوانيات. أما المستوى الثالث، فهو يرتبط بالإطار الدستوري والقانوني المنظم للمجتمع المدني في الكويت، وهذا المستوى يكتسي أهمية بالغة لأنه يمكننا من التعرف على المرجعية الدستورية والتشريعية التي يستند إليها المجتمع المدني في ممارسة أدواره المختلفة.

ويحكم أن الفصل الثالث يعالج إشكالية الأداء والأدوار التي يقوم بها المجتمع المدني في الكويت، ومدى فعاليته في القيام بتلك الأدوار، فإن هذا الفصل سيتضمن تحليلا لمستويات العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني وفق ثلاثة أبعاد: تعاون، صراع، وهيمنة. ثم تسليط الضوء على دور المجتمع المدني في الحياة العامة والعملية السياسية من خلال تعدد ادوار المجتمع المدني الكويتي، وكذلك تفاعل قوى المجتمع المدني مع الحراك السياسي الذي حدث في الكويت بعد الثورات العربية.

لا نكتفي في هذا المؤلف بالوصف والتحليل فقط، بل نسعى إلى تفسير واقع المجتمع المدني في الكويت وخصوصياته، وهذا يتطلب وضع الظاهرة في سياق بيئتها. ولهذا يجب تناول مجموعتين من العوامل البيئية المؤثرة على المجتمع المدني الكويتي، فهناك عوامل داخلية تتعلق بالاقتصاد الريعي، وطبيعة النظام السياسي، والبنية القبلية للمجتمع، وكذلك الاختلال السكاني الذي تعاني منه الكويت. وهناك كذلك عوامل

تفرزها البيئة الخارجية سواء كانت إقليمية أو دولية، وهي تشمل الأوضاع التي تسود العالم العربي منذ سنوات عديدة، والمواقف الإقليمية من التجربة الكويتية في الديمقراطية، إضافة إلى الدعم الأمريكي للأسرة الحاكمة والمحافظة على بقاء النظام الحاكم واستمراره.

في الأخير، يأتي هذا الكتاب بمثابة إضافة علمية إلى الدراسات المتعلقة بموضوع المجتمع المدني في العالم العربي، ولاسيما في منطقة مجلس التعاون الخليجي. فهذا الكتاب هو محاولة لجلب انتباه الباحثين والدارسين غير الخليجيين للاهتمام بهذه المنطقة الحيوية في عالمنا العربي، فقد تعودنا لسنوات طويلة على تركيز الاهتمام على الدول العربية الكبرى، وعدم تسليط الضوء على المجتمعات الخليجية التي تمر حاليا بحراك اجتماعي وسياسي تماشيا مع التحولات التي تعرفها المنطقة العربية.